تشكيل الخطاب النقدي في مقدمة المرزوقي وعلاقته بمتن الكتاب

الكلمات المفتاحية: المقدمة، النقد، المرزوقي

بحث مستل من رسالة ماجستير

أ . م . د. علاء حسين عليوي البدراني **حنين وسام جياد عباس**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

dalaaalbadrani@gmial.com **ha wessam@gmial.com**

الملخص

نسلط الضوء في هذا البحث على مقدمة المرزوقي في شرحه ديوانَ حماسة أبي تمام، هذه المقدمة المطولة والمتميزة في تاريخ النقد العربي بما ضمته من قضايا نقدية لها وزنها في الساحة النقدية العربية، ويبحث ايضاً في علاقة هذه المقدمة في شرحه أي بما احتواه المتن، وهل طبق المرزوقي هذه القضايا في شرحه للأبيات أو أنه اكتفى بطرحها في المقدمة؟

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلقِ والمرسلين النبيّ الأميِّ وعلى آله وصحبهِ اجمعين .

إما بعد ..

فإنِّ البحث في تراثنا العربي يكشفُ عن غزارةٍ علميةٍ وافرةٍ، وهي تدل على سعة الفكر العربي وعمقه، ونقدنا العربي القديم مثّل جانباً مشرقاً من تراثنا على ما فيه من الجدة والموضوعية في طرح القضايا النقدية، ويُعدّ موضوع المقدمات التي تتقدّم المتنِ موضوعاً قديماً وفي الوقت نفسه متجدداً، ونحن هنا نطرح فيه مقدمة المرزوقي احد نقاد القرن الخامس الهجري(ت٤٢١هـ)، هذه المقدمة النقدية التي امتاز بها المرزوقي في شرحه ديوان حماسة أبي تمام، ولقد تطرق فيها إلى ست قضايا نقدية عُدت من البُنى الأساسية في تاريخ النقد العربي القديم، وقد نالت أهميتها آنذاك واشتد الصراع حولها كلٌ له رأيه في هذه القضايا التي طرحها المرزوقي في مقدمته المطولة؛ لذلك سنتناول هذه الموضوعات في ضوء علاقتها بالمتن أي علاقتها بشرحه للأبيات التي اختارها ابو تمام .

توصل المرزوقي في طرحه لهذه القضايا في مقدمته إلى نتائج مهمة وله رأيه في بعض هذه القضايا، وسنتناول في دراستنا هذه النتائج التي يمكن تمثيلها بالمحاور الثلاثة الآتية : المحور الاول: المرزوقي ومقدمته النقدية نتحدث فيه عن دور هذه المقدمة في النقد العربي وما نالته من اهتمام، ونتطرق في المحور الثاني إلى القضايا النقدية التي طرحها المرزوقي وعلاقتها بالمتن أي ما تطابق بين المقدمة والمتن، والمحور الثالث هو ما تنافر من هذه القضايا مع المتن؛ وقد حاولنا أنْ لا نفصل بين المقدمة والمتن، وإنما نتناولهما معاً تجنباً للفصل الذي طغى على هذا الموضوع .

اولاً : المرزوقي ومقدمته النقدية

من يقف على شرح ديوان الحماسة للمرزوقي(ت٤٢١هـ) تلفت انتباهه المقدمة النقدية المطولة بكل تفاصيلها وموضوعاتها التي أضفت على شرح الديوان طابعاً مميزاً، فهو في مقدمته يثير أسئلة عدة وجهت إليه من قارئه الذي افترضه في مقدمته باحثاً في قضية مهمة هي قضية أسلوب أبي تمام متطرقاً الى قضايا نقدية أخرى كان لها صدى كبير في الساحة النقدية آنذاك.

فقد((اشتهر المرزوقي في تاريخ النقد الادبي بالمقدمة النقدية التي وطأ بها شرحه لديوان حماسة أبي تمام، وقد ذاعت شهرة هذه المقدمة، التي لا يزيد حجمها عن مقالة، وذهب صيتها في المجالس الادبية، لما تناولته من قضايا نقدية، ومشكلات هامة، تعد من أصول النقد الادبي، وأسسه النظرية))[١]، لهذا فأن لمقدمة المرزوقي مكانتها في النقد العربي القديم ومن خلالها اكتسب شرحه لديوان حماسة أبي تمام خصوصيته المتميزة .

واعترافاً بأهمية هذه المقدمة وجد الدكتور عبد الهادي خضير انها((وثيقة مهمة في تاريخ النقد الأدبي عند العرب لما ضمته من قضايا نقدية ...ولكنهم القلائل أولئك الذين حاولوا أن يتجاوزا هذه المقدمة ليلتمسوا شخصية المرزوقي النقدية من خلال شرحه))[٢]، وهذا يعني أن شخصية المرزوقي النقدية قد برزت من خلال مقدمته، ومن هنا يبرز الجانب المهم الذي تؤديه المقدمة في إبراز شخصية الكاتب.

تعرض المرزوقي في مقدمته النقدية إلى ست قضايا نقدية وهذه القضايا هي :اللفظ والمعنى، عمود الشعر، الصدق والكذب في الشعر، الطبع والتكلف، الشعر بين الاستجادة والاشتهاء، المفاضلة بين النظم والنثر، وأن هذه القضايا التي تطرق لها المرزوقي في

المقدمة لم يطبقها جميعها في المتن، وانما اكتفى بعرض بعضها في المقدمة فقط، وسنتطرق لهذه الموضوعات وعلاقتها بالمتن تطابقاً وتنافراً .

ثانياً : ما تطابق بين مقدمة شرح ديوان الحماسة ومتنه

على الرغم من التفاوت ما بين مقدمة المرزوقي المطولة ومتنه فأن هناك تطابقاً في مواضع عدة وهي :

أ- أبو تمام ناقداً وشاعراً .

إن اسلوب أبي تمام شغل المرزوقي كما شغل غيره من الناس آنذاك، وقد تطرق المرزوقي في مقدمته إلى الحديث عن أبي تمام من ناحية وصفه شاعراً وناقداً فيقول واصفاً أبا تمام الشاعر:((معروف المذهب فيما يقرضه، مألوف المسلك لما ينظمه نازع في الإبداع إلى كل غاية، حامل في الاستعارات كل مشقة، متوصل إلى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف وبماذا عثر، متغلغل إلى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنى تأتى له وقدر))[٣] .

ثم يصف ابا تمام الناقد فيقول :((وهو عادل فيما انتخبه في هذ المجموع عن سلوك معاطف ميدانه ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه، فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا اليسير. ومعلوم أن طبع كل امرئ – إذا ملك زمام الاختيار – يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه، ويصرفه عما ينفر منه ولا يرضاه))[٤]. وفي قوله : ((فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب إلا اليسير))[٥] توصل المرزوقي إلى نتيجة مهمة في مقدمته عن ديوان حماسة أبي تمام، مما يدل على أنه كان بصدد البحث في قضية أسلوب أبي تمام التي كانت تشغل الناس في ذلك الوقت .

ويظهر إعجابه بأبي تمام في المقدمة قائلاً :((حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده))[٦] ، وهذا القول يدل على أن ((أصحاب الشعر الذي عدل منه أبو تمام، لو بعثوا من جديد ورأوا شعرهم على هذه الحالة لأجازوا عمله، وباركوا صنيعه وسلموا له في أن تعديل هذه اللفظة بتلك خير وأحسن موقعاً))[٧] .

ويبقى هناك تساؤل مهم، فأبو تمام كما ذكر المرزوقي تصرف في مختاراته الشعرية بقوله :((حتى إنك تراه ينتهي الى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبر نقيصته من عنده، ويبدل الكلمة بأختها في نقده))[٨]، فهل يحق للناقد استبدال الكلمات عند الشعراء من عنده أم لا ؟

بطبيعة الحال ليس من حق الناقد أن يتصرف بالأشعار، ولكن ابا تمام تعامل مع مختاراته الشعرية على أنها أشعاره فعدل وبدل في كلمات الأبيات حتى تتساوى عنده بطريقة تثير إعجاب كل من قرأ ديوان الحماسة .

وما بحثه المرزوقي في متنه هو صميم عمله الذي أشار إليه في المقدمة وهو أبو تمام ناقداً واختياراته الشعرية؛ إذ لم يخرج عن هذا الموضوع حتى الخاتمة .

ب- المرزوقي وعمود الشعر.

يعد عمود الشعر من أهم القضايا النقدية التي بحثها المرزوقي في مقدمته وما تكاد تذكر هذه المقدمة إلا ويقترن عمود الشعر بها، والسبب في ذلك أنه ((قعد له بوضوح وحدد له عناصره، ووضع لكل عنصر عياراً يقاس به، ويعرض عليه))[٩] .

أما اركان عمود الشعر فهي كما ذكرها المرزوقي في مقدمته :

١-شرف المعنى وصحته .

٢-جزالة اللفظ واستقامته .

٣-الإصابة في الوصف .

٤-المقاربة في التشبيه .

٥-التحام أجزاء النظم والتئامها على التخيير من لذيذ الوزن .

٦-مناسبة المستعار منه للمستعار له .

٧-مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما[١٠]

ما تطابق من أركان عمود الشعر في المتن .

أ- **التشبيه:** كان للتشبيه نصيبه الأكبر من أركان عمود الشعر في شرح المرزوقي لما له من ضرورة بارزة في توظيف الشعراء للتشبيه توصلاً إلى بيان معانيهم بأوضح صورة واكثرها حسناً وجمالاً، ونجده في استشهاداته في مواضع عدة منها :

١- مَشيَنْا مشيَة اللَيْثِ غَدَا واللَيثُ غَضْبَانُ[١١]

يقول :((سعينا إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جائع، وكنى عن الجوع بالغضب لأنه يصحبه. وهذا التشبيه أخرج ما لا قوة له في التصور إلى ما له قوة فيه...))[١٢]، نلاحظ أن المرزوقي بين مواطن التشبيه في هذا البيت، ولكنه لم يشر إلى أن لهذا التشبيه أثره في جمال البيت، بل اكتفى بذكر التشبيه فقط .

٢- وَفارسٍ في غُمَارِ المَوْتِ مُنْغَمِسِ إذا تَأَلى على مَكْرُوهِهِ صَدَقَا[١٣]

يقول:((جعل للموت غماراً على التشبيه بالماء،ثم جعله منغمساً فيها فحسنت الاستعارة...))[١٤] .

٣-وَلَمَا رَأَيتُ الْخَيْلَ زُوراً كَأنها جَدَاوِلُ زَرْعٍ خُلِيَت فاسْطَبرت[١٥]

يقول بعد ان بيّن معنى البيت :((والتشبيه وقع على جري الماء في الانهار لا على الأنهار، كأنه شبه امتداد الخيل في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الانهار، وهو يطرد ملتوياً ومضطرباً))[١٦] . اذن اقتصر دور المرزوقي في بيان كيف وقع التشبيه من دون أن يبين أن لالتقاء هذه الألفاظ دورها في رسم جمال هذا البيت الذي جعل أبا تمام يختاره من ضمن اختياراته الشعرية .

وغيرها من التشبيهات الأخرى التي تطرق لها المرزوقي في شرحه، ولقد تطابقت هذه المواضع الثلاثة التي ذكرها المرزوقي في شرحه مع أحد أركان عمود الشعر التي تطرق لها في المقدمة وهو التشبيه في قوله:((المقاربة في التشبيه))[١٧] والملاحظ على تعليقات المرزوقي على هذه التشبيهات أنه يبين كيف وقع هذا التشبيه ومعناه كما يعلق تعليقات بسيطة أحياناً، وأحياناً أخرى يطيل في شرحه .

ب- الاستعارة : أما الاستعارة فجاءت بالمرتبة الثانية بعد التشبيه وهو تسلسل منطقي في ترتيب الأركان؛ فالاستعارة بناء فني يقوم على التشبيه، أما مواضع هذه الاستعارة فمنها:

١- إذَا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّوم عِرْضُهُ فكل رِدَاءٍ يرتَديهِ جَمِيلُ [١٨]

يقول في بيان موضع الاستعارة :((يقال: دنس دنساً، وتدنس تدنسا، إذا تكلفه. فيقول : إذا لم يتدنس الرجل باكتساب اللؤم واعتباره فأي ملبس لبسه بعد ذلك كان حسناً جميلا . و ذكر الرداء ها هنا مستعار، وقد قيل : رداه الله رداء عمله، فجعل كناية عن مكافأة العبد بما يعمله))[١٩] .

٢-ولا تبْلَـىَ بَسالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحَرْب حِيناً بَعْد حينِ [٢٠]

يقول وقد أوضح في هذا البيت الاستعارة و الوصف :((يقال : بلي الثوب يبلي بلى و بلاءً، و يستعار فيقال : لبس فلاناً و يلينه، إذا استمتعت به وتمليته. وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مزاولة الحرب، وأن شجاعتهم لا تنقص ولا تبلى عند امتداد الشر، واتصال

البلاء. والبسالة توصف بها الاسد والرجال، يقال أسد باسل وبسول. كما يقال رجل باسل وبسول))[٢١] .

وقد تطابق هذين الموضعان في شرح المرزوقي مع ما أشار إليه في المقدمة عندما تطرق إلى أركان عمود الشعر بقوله : ((مناسبة المستعار منه للمستعار له))[٢٢]، وقد بين المرزوقي موضع الاستعارة في هذه الابيات وشرح معناها .

أما ما بقي من أركان عمود الشعر فلم يبينها المرزوقي في شرحه، وإنما ذكرها نظرياً في تحليله للأبيات الشعرية، فهو في ذلك المنهج يمزج بين التنظير والتطبيق في إطار فني ينسجم مع رؤية مؤلفه في اختيار عنوان كتابه .

ثالثاً : القضايا النقدية التي تنافرت مع المتن في مقدمة شرح المرزوقي.

ما تنافر من اللفظ والمعنى :

هذه القضية الأولى التي نالت عناية المرزوقي بعد أن خاض فيها النقاد والبلاغيوّن العرب وانقسموا على فئات عدة يقول فيها :((اعلم أن مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة، وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وأردافها مفترقه، وذلك لتفاوت اقطار منادحها على اتساعها وتنازح اقطار مظانها ومعالمها، ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة في المنشور، اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه، وتشعب مراد الفكر لها ومطرحه))[٢٣] . وجعل المرزوقي هذه القضية على طرفين هما : أنصار اللفظ وأنصار المعنى . ثم أن أنصار اللفظ على ثلاث فئات هي :

الفئة الأولى

ذكرها في المقدمة بقوله :((فمن البلغاء من يقول : فقر الألفاظ وغررها، كجواهر العقود ودررها، فإذا وسم أغفالها بتحسين نظمها وحلي أعطالها بتركيب شذورها، فراق مسموعها ومضبوطها، وزان مفهومها ومحفوظها، وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العي والخطل، مقوماً من أود اللحن والخطأ، سالماً من جنف التأليف، موزوناً بميزان الصواب، يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً وتركيباً – قبله الفهم والتذَّ به السَّمع))[٢٤] . هذه الفئة ترى بأن الالفاظ أن سُبكت بطريقة تجعلها كالجواهر والدرر اقبل عليها الفهم والسمع .

الفئة الثانية

أشار لها بقوله :((ومنهم من لم يرض بالوقوف الى هذا الحد فتجاوزه، والتزم من الزيادة عليه تتميم المقطع، وتلطيف المطلع، وعطف الأواخر على الأوائل، ودلالة الموارد على المصادر، وتناسب الفصول والوصول، وتعادل الاقسام والاوزان، والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار أولى، حتى يطابق المعنى اللفظ، ويسابق فيه الفهم السمع))[٢٥] . هذه الفئة تزيد على ما اشترطته الفئة الأولى شروطاً أخرى حتى يتساوى فيها اللفظ مع المعنى .

الفئة الثالثة :

أشار إلى الفئة الثالثة من أنصار اللفظ بقوله :((ومنهم من ترقى إلى ما هو أشق وأصعب، فلم تقنعه هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع : من الترصيع والتجنيس، وعكس البناء في النظم، وتوشيح العبارة بألفاظ مستعارة، إلى وجوه أخر تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع))[٢٦] ثم أن المرزوقي أكتفى بذكر اللفظ والمعنى وهذه الفئات الثلاثة في المقدمة فقط، ولم نجدها في المتن .

أنصار المعنى .

أماّ انصار المعنى فقد أشار إليهم في مقدمته بقوله :((ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره إلى أن يكون استفادة المتأمل له، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله. وهم أصحاب المعاني، فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها، وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة ظريفة أو رائقة بارعة، فاضلة كاملة ...))[٢٧] انصار المعنى فئة واحدة ولم يجعلهم المرزوقي على فئات كما في انصار اللفظ .

موقف المرزوقي من اللفظ والمعنى .

أما موقفه من اللفظ والمعنى فقد ذكره بقوله : ((ومتى أعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعانقا وتلابسا، متظاهرين في الاشتراك وتوافقا، فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيمطر روضها، وينشر وشيها ويتجلى البيان فصيح اللسان، نجيح البرهان، وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لهما من المسموع والمعقول بالمسرح الخصب والمكرع العذب)) [٢٨] .

فالمرزوقي في موقفه هذا لم يفصل بين اللفظ والمعنى كما فعل سابقوه، وانما جعلهما قضية واحدة لا فاصل فيها، وبهذا استطاع أن يضع حداً لهذا الصراع الطويل بين أنصار كل من

اللفظ والمعنى وما دار بينهم من الصراعات . وإذا بحثنا عن اللفظ والمعنى في المتن ومن خلال شرحه للأبيات نلاحظ أن المرزوقي لم يتطرق إلى قضية اللفظ والمعنى، ولم يبين مواطن الجمال في التقاء الألفاظ بالمعاني، وإنما اكتفى بشرح الأبيات وبيان المقصود منها وفي أغلب شرحه يبين أن المقصود في هذا البيت كذا يريد الشاعر، ويستغرق في بيان معنى البيت دون أن يبين أن لوجود هذه اللفظة ومعناها هو من أضفى جمالاً على البيت الشعري إذ جعله أبو تمام في حماسته ومن ضمن اختياراته .

ب- ما تنافر من اركان عمود الشعر في المتن .

لم يكن المرزوقي أول من تطرق لنظرية عمود الشعر بل سبقه إليها الكثير من النقاد والبلاغيين العرب كالامدي والقاضي الجرجاني الذين خاضوا في هذه القضية بعد أن شغلت أذهان الناس آنذاك، ولكنها لم تقدم بصورتها الواضحة إلا عند المرزوقي، وقد عُدت هذه القضية عنده خلاصة لآراء من سبقه صاغها بشكل مختلف ليضع لها حدودها النهائية إلا أن المرزوقي لم يُشر إلى ذلك لا في المقدمة ولا في المتن . ذكرنا فيما تقدم أن المرزوقي طبّق ركنين من أركان عمود الشعر في متن كتابه، أما ما بقي من هذه الأركان فإن المرزوقي لم يتطرق لها في صفحات المتن وهذه الأركان هي :

١-شرف المعنى وصحته .

٢-جزالة اللفظ واستقامته .

٣-الإصابة في الوصف .

٤-التحام أجزاء النظم على والتئامها على التخيير من لذيذ الوزن .

٥-مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما حتى لا منافرة بينهما [٢٩].

ج - الصدق والكذب في الشعر

القضية الثالثة التي تطرق لها المرزوقي في مقدمته النقدية هي مسألة الصدق والكذب في الشعر وهي من((المواضيع المتصلة بالشعر مباشرة . منذ القدم، والتي كانت احدى المعايير النقدية، التي تعاطاها القدامى وأسسوا عليها احكامهم في التفضيل بين الشعراء أو ايثار هذا البيت عن ذاك))[٣٠] .

وقد بحث المرزوقي هذه القضية في مقدمته والنزاعات حولها وقسمهم على ثلاث فئات هي :

الفئة الأولى : أشار إليها بقوله :((فمنهم من قال: "أحسن الشعر أصدقه" قال: لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار والحذق))[٣١]، وفي هذه الفئة يرتبط الصدق مع الشعر في مكون واحد .

الفئة الثانية : وهي التي ترى أن ((أحسن الشعر اكذبه"؛ لأن قائله إذ أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى رتبة، وظهر قوته في الصياغة وتمهره في الصناعة، واتسعت مخارجة وموالجه، فتصرف في الوصف كيف شاء، لأن العمل عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصداقة والتحقيق))[٣٢]، وهذا يعني المبالغة في الشعر ولا يعتمد على المصداقية أي الخيال الشعري .

الفئة الثالثة : وهذه الفئة ترى أن ((أحسن الشعر أقصده"؛ لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط، فما استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها، من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى، ولم يخرج الموصوف إلى أن لا يؤمن لشيء من أوصافه، لظهور السرق في آياته، وشمول التزيد لأقوله، كان بالإيثار والانتخاب اولى))[٣٣] .

والمرزوقي يشير هنا إلى أن افضلية الشعر لا ترتبط بالصدق والكذب، وإنما ترتبط بجودة الشعر (أقصده) وهذه اللفظة تقترب من الشاعرية من ضمن المفاهيم المعاصرة .

وإذا بحثنا عن موقف المرزوقي من هذه الفئات الثلاث نجده غير واضح، فقد اكتفى بذكرها دون أن يشير إلى موقفه من هذه القضية فيرى الدكتور إحسان عباس انه لما عرض لهذه المشكلة ((فإنه قد زاد فئة ثالثة تقول: "أحسن الشعر أقصده"))[٣٤]، واكتفى بذلك، ولم يرجح احد هذه المواقف، وانما جعل لكل موقف انصاره.

ثم إنَّ قضية الصدق والكذب التي أثارها المرزوقي في مقدمته لا نجد لها أثراً يُذكر في المتن، ولا في شرحه للأبيات إنما اكتفى بذكرها في المقدمة وبيان فئاتها .

د- الطبع والتكلف .

عرض المرزوقي هذه القضية بطريقة مختلفة عن سابقيه، وأول ما يلفت الانتباه في عرضه لقضية الطبع والتكلف هو ((فهم جديد يختلف اختلافاً بيناً عن فهم ابن قتيبة وإدراكه ... بل أن المرزوقي عدل عن التسمية، وآثر اصطلاح "المطبوع والمصنوع" بدلاً من "المطبوع والتكلف"))[٣٥] .

ويعرف المرزوقي المطبوع والمصنوع بقوله:((فمتى رفض التكلف والتعمل، وخلي الطبع المهذب بالرواية، المدرب في الدراسة، لاختياره فاسترسل غير محمول عليه، ولا ممنوع مما يميل إليه، أدى من لطافة المعنى، وحلاوة اللفظ ما يكون صفواً بلا كدر، وعفواً بلا جهد، وذلك هو الذي يسمى " المطبوع "))[٣٦] .

أما المصنوع فعرفه بقوله : ((ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف، عاد الطبع مستخدماً متملكاً، وأقبلت الأفكار تتحمله أثقالها، وتردده في قبول ما يؤديه إليها، مطالبه له بالإغراب في الصفة وتجاوز المألوف إلى البدعة، فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو "المصنوع"))[٣٧] .

ويصنف المرزوقي المحدثين وولعهم بالبديع إلى أصناف فيقول:((فمن مفرط ومقتصد، ومحمود فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يحمل، ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف. فمن مال إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الاعراب، لسلامته في السبك، واستوائه عند الفحص. ومن مال إلى الثاني فلدلالته على كل البراعة، والالتذاذ بالغرابة))[٣٨].

و رأي المرزوقي في قضية الطبع والتكلف هو ((أنّ الإبداع السوي المتكامل لا يكون دون جهد ودربة، ورواية ونظر في عيون شعر القدامى، الذين بدورهم عرفوا الرواية، بل لم يستقم عمود الشعر لكثير منهم، إلا بعد السماع المباشر من بعض الفصول، أو حفظ ودراسة ما وصل إليهم عن طريق النقل والرواية والتأسي بهم))[٣٩].

وإذا بحثنا عن قضية الطبع والتكلف من خلال شرحه لأبيات الحماسة فلا نجدها، فلم يذكر أن في هذا البيت الشعري قد تكلف الشاعر في ألفاظه ومعانيه، أو أن في هذا البيت الفاظاً رائقة هذبت المعنى واضفت جمالاً للبيت الشعري .

هـ – الشعر بين الاستجادة والاشتهاء .

تعرض المرزوقي في مقدمته إلى قضية الاستجادة والاشتهاء عند أبي تمام فقال: ((كيف تسنى لأبي تمام أن ينتخب مجموعة شعرية تختلف اختلافاً بيناً، ومذهبه الشعري، وفيها مفارقته ما يهواه لنفسه ومع ذلك فقد طارت شهرة صاحب هذا الاختيار))[٤٠]، أي أن أبا تمام قد اختار في مجموعته الشعرية توجهاً غير التوجه الذي عرف به ومع ذلك كتبت له الشهرة .

وقد علل لقضية الاستجادة والاشتهاء عند أبي تمام قائلاً :((فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته. والفرق بين ما يشتهي وبين ما يستجاد ظاهر، بدلالة أن العارف بالبز قد يشتهي لبس ما لا يستجيده، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه. وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها، في الاستجادة والاشتهاء))[٤١] .

ويبدي إحسان عباس إعجابه بهذا التعليل ويضيف اليه قائلاً :((الاستجادة من عمل القوة الناقدة أما الشهوة فأنها من عمل القوة الشاعرة (ذات الشعور) وقد كان ابو تمام حين يختار الشعر يسلط القوة الأولى وطرق الاحسان والاستحسان لم تستر عنه، فاذا نظم لجأ الى القوة الثانية))[٤٢] . وهذه القضية على ما اجاد فيها من طرح وتعليل لا نجد لها صدى يذكر في المتن، بل انه اكتفى ببيانها في المقدمة .

ولمقدمة المرزوقي اثرها الفاعل في ((فهم العلاقة بين اختيار أبي تمام/ الشاعر واختياراته ناقداً، فقد مثلت اختياراته الشعرية خرقاً في نصه الإبداعي وحققت التفاوت))[٤٣] .

أما في اختياره النقدي ((فقد كان النص الموازي/ المقدمة كفيلا بإيضاح هذا وبناء النص على النص، فأبو تمام كما يرى المرزوقي بين الشهوة والاستجادة، شهوة الاختيار الشعري واستجادته النقدية، أي : ان أبا تمام كان يعيش لحظة انشطار بين هذين القبولين وكانت مقدمة المرزوقي بنصها (عمود الشعر) تمثل جهداً نقدياً متكاملاً يرتبط بأصول التفكير النقدي العربي، فهي محاولة في فهم هذا الانشطار وتقريبه للقارئ))[٤٤] .

و- المفاضلة بين النظم والنثر .

القضية الأخيرة في مقدمة المرزوقي، وكان الداعي ليتطرق لها هو إجابة سائله الذي يريد ((معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء، والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين، والعلة في نباهة اولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر))[٤٥] .

فهذه المسائل كانت الشغل الشاغل في الحياة العربية آنذاك، كما أن قضية المفاضلة بين الشعر والنثر كانت ذات أثر في الساحة النقدية العربية مما دعى المرزوقي إلى البحث في هذه القضية محاولاً إيجاد صيغة جديدة ترضي الطرفين المتنازعين حول الشعر والنثر .

بدأ المرزوقي حديثه عن النثر ذاكراً ثلاثة أسباب لتفضيله على الشعر وهي :

فضل النثر على الشعر عند العرب لان ((ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة وأفضل آلات الزعامة))[٤٦]، وهذا يعود إلى دور الخطابة وأهميتها عند العرب وهم أصحاب بيان فالخطيب البليغ عندهم افضل و((ابلغ من انفاق مال عظيم ، وتجهيز جيش كبير))[٤٧] .

اتخذ العرب من الشعر ((مكسبة وتجارة، وتوصلوا به الى السوق كما توصلوا به إلى العامة، وتعرضوا إلى أعراض الناس، فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم، حتى قيل الشعر ادنى مروة السري، وأسرى مروة الدني))[٤٨] .

وهذا يعني قضية الكذب والمبالغة في الشعر، فهم يمدحون من يشاؤون ويرفعون من قدره، وبنفس الوقت يستطيعون ذمه والتنقيص من شأنه، كل ذلك يفعله الشعر وأكثر، ولذلك يفضل النثر على الشعر عند بعضهم .

وعلى ما يبدو أن المرزوقي من أنصار النثر فهو يقول في السبب الثالث لتفضيل النثر : ((ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم، أن الإعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم))[٤٩] وهذا يعود إلى نزول القرآن الكريم بلغة نثرية وبصياغة أذهلت العرب جعلتهم يفضلون النثر على الشعر .

إن ما تطرق له المرزوقي في مقدمته من قضايا نقدية مهمة لها وزنها في الحياة الادبية العربية كانت استجابة لسائله الذي قد يكون حقيقياً أو مفترضاً، فحاول في مقدمته الاجابة عن هذه المسائل إجابة مختصرة وكافية لتؤدّي دورها في القارئ دون أن يتطرق لها في المتن، لأنه كان بصدد طرح قضية مهمة دعته إلى كل ما جاء به في المقدمة وهي: أبو تمام واختياراته الشعرية، فاكتفى في المتن بشرح الأبيات شرحاً نحوياً، ولغوياً، وصرفياً .

والمرزوقي من خلال هذا الشرح تطرق إلى معاني الأبيات والمقصود منها، ويبدو أن هذه الموضوعات النقدية التي تطرق لها المرزوقي في مقدمته لها صلة بعمود الشعر على أساس أن عمود الشعر يمثل خصائص القصيدة العربية القديمة التي التزم بها أغلب الشعراء، وهذا يعني إن المقدمة جاءت طارئة لأسئلة قارئه ومنها انطلق في شرحه لأبيات الحماسة هذا الشرح الذي جاء به ليرسخ من خلاله أركان عمود الشعر، إلا أنه لم يتتبع جميع أركانه في شرحه .

الخاتمة

١. بعد الرحلة برفقة مقدمة المرزوقي توصلنا إلى ما يأتي :

٢. تعد المقدمة نقطة الانطلاق نحو العمل الأدبي لذلك لا يمكن أن نغفل عنها، وعن أهمية الأثر العلمي الذي تؤديه، وقد أولاها القدماء أهمية كبيرة وتحدثوا عن أهمية أن تكون البداية لطيفة ذات ألفاظ حسنة؛ لأنها السبيل الذي يوصل إلى ما بعدها .

٣. إن العلاقة بين المقدمة والمتن علاقة تفاعلية (تأثر وتأثير)، ولا يمكن أن تكون علاقة انفصال بل هي علاقة تكاملية يكمل بعضه البعض .

٤. كانت مقدمة شرح الحماسة على ما فيها من قضايا نقدية وعرض مميز لم تطابق المتن إلّا في بعض أركان عمود الشعر، أما باقي القضايا الأخرى فإنّها تنافرت مع المتن، ولم نجد لها أثراً يذكر .

٥. جاءت مقدمة المرزوقي طارئة لأسئلة قارئه، ومنها انطلق في شرحه لأبيات الحماسة هذا الشرح الذي جاء به ليرسخ من خلاله أركان عمود الشعر، إلا أنه لم يتتبع جميع اركانه في شرحه .

Abstract

The formation of critical discourse in the introduction of al- Marzouki and its relationship to the book

An extract research from a thesis

Keywords: Al-Marzouki , Critical, Introduction

The research sheds the lights on the introduction of

Hanin Wesaam Chiyad Abbas

Inst. Ala'a Hussein Aliwi Al-Badrani, (Ph.D.)

University of Diyala

College of Education for Human Sciences

Marzouki, in his commentary on Diwan Hamasah of Abu Tammam, this lengthy and distinguished introduction in the history of the Arab criticism including critical issues that have its significance in Arab criticism arena and also looks at the relationship of these made in his commentary which as overwhelmed in the body, and whether Al-Marzouki applied these issues in his explanation of the verses or whether it could only put them in the introduction

الهوامش

(١) منهج ابي علي المرزوقي في شرح الشعر : طاهر الأخضر حمروني: ١٨٩ .

(٢) النقد التطبيقي عند المرزوقي : عبد الهادي خضير : ٩ .

(٣) شرح ديوان الحماسة : ٨,٧

(٤) المصدر نفسه : ٨

(٥) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٦) المصدر نفسه : ٧ ، ٨ .

(٧) منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر : طاهر الاخضر حمروني: ٢٣١ .

(٨) شرح ديوان الحماسة : ١٤

(٩) قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم : وليد القصاب: ١٨٩ .

(١٠) شرح ديوان الحماسة : ١٠ .

(١١) ديوان الحماسة : أبي تمام : ٦/١ .

(١٢) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي: ٢٩.

(١٣) ديوان الحماسة : أبي تمام : ١٣/١ .

(١٤) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي: ٤٦ .

(١٥) ديوان الحماسة : أبي تمام :١٤ .

(١٦) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي :٤٩

(١٧) المصدر نفسه : ٣٧

(١٨) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(١٩) المصدر نفسه: ٤٤

(٢٠) ديوان الحماسة : أبي تمام : ١١٧

(٢١) شرح ديوان الحماسة: المرزوقي : ١٠

(٢٢) شرح ديوان الحماسة : مقدمة المؤلف : ٨، ٩ .

(٢٣) المصدر نفسه : ٩.

(٢٤) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٥) المصدر نفسه :٩ .

(٢٦) المصدر نفسه : ١٠ .

(٢٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٨) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٢٩) شرح ديوان الحماسة: المرزوقي : ١٠ .

(٣٠) منهج ابي علي المرزوقي في شرح الشعر : ٢٢١

(٣١) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١٢

(٣٢) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٣٣) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٣٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب : إحسان عباس : ٤٠٩ .

(٣٥) منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر : طاهر الأخضر حمروني : ٢٢٧,٢٢٦.

(٣٦) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١٣

(٣٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٣٨) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٣٩) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٤٠) منهج ابي علي المرزوقي في شرح الشعر : ٢٢٩ .

(٤١) شرح ديوان الحماسة : ١٣ .

(٤٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٤٠ .

(٤٣) بلاغة الإقناع في الخطاب النقدي القديم : صلاح حسن حاوي : ٢٠٤

(٤٤) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٤٥) شرح ديوان الحماسة : المرزوقي : ١٥ .

(٤٦) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٤٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٤٨) المصدر نفسه : ١٦ .

(٤٩) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

المصادر

- القرآن الكريم .
- بلاغة الإقناع في الخطاب النقدي القديم : صلاح حسن حاوي ، الشركة العربية المتحدة للنشر، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٦ م .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١ م .
- ديوان الحماسة : أبو تمام، شرح التبريزي، دار القلم ، بيروت، ط١، (د. ت)
- شرح ديوان الحماسة لابي تمام: ابي علي الحسن المرزوقي(ت٤٢١هـ)، شرح: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم : وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين، ط١، ١٩٨٠م .

- منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر : طاهر الاخضر حمروني، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م : ١٨٩ .
- النقد التطبيقي عند المرزوقي : عبد الهادي خضير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن ، ٢٠١٠م .